دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

نمط الأسير المبشر في الرواية المبكرة عن دخول المسيحية جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

أ. د. عبد العزيز رمضان
أستاذ التاريخ الوسيط – قسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد
أبها – المملكة العربية السعودية

مُلَخّص

تحتوي المصادر المسيحية الشرقية (البيزنطية والسريانية والقبطية)، من القرن الرابع الميلادي فصاعدًا، على إشارات متناثرة عما يمكن تسميته بنمط "المبشر الأسير"؛ وهو نمط يتكرر بشكل لافت للنظر في الروايات المتصلة بظروف ظهور المسيحية في جنوب شبه الجزيرة العربية. لقد نسبت هذه الروايات تنصير عرب الجنوب إلى مبشرين أسرى، سواء من الذكور أو الإناث، وكان لها فيما يبدو صدى في الرواية العربية ذات الصلة. ويهدف هذا البحث إلى جمع شتات النصوص المتاحة حول هذا النمط، ومحاولة إعادة بنائها في سياق يمكن من خلاله استنباط الدلالات التاريخية المحيطة به. مع التركيز على حالات رئيسة، هي: المبعوث ثيوفيلوس والراهبة ثيوجنوستا، والأسقف بولس القنطوسي والقس يوحنا الرهاوي، لكن دون إغفال حالات أخرى تتوفر عنها إشارات موجزة، مثل حالة فيميون وفرومنتيوس وغيرهما. ويخلص البحث إلى صعوبة الحكم على دقة هذه الروايات وتحديد هوية الشخص الذي أدخل المسيحية إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، خصوصًا أن هناك روايات أخرى تنسب ذلك إلى أشخاص آخرين منهم التاجر أو زعيم أو كاهن سجين. وجميع هذه الروايات ذات مسحة هجيوجرافية واضحة، نُسجت في سياق حرص الكاتب على مدح نضال الأسير أو السجين أو المضطهد ضد المعارضين الوثنيين أو اليهود، والهدف الأسمى هو الانتصار للحق على الباطل وتأكيد تفوق المسيحية على الوثنية. ويبدو أن هذا الهدف اقتضى استخدام الأسرى كمبشرين في أكثر من سياق مختلف. ومن المهم أن نأخذ في الاعتبار اختلاف مؤلفي النصوص واختلاف أصولهم وخلفياتهم كسبب لاختلاف أبطال رواياتهم. إلا أن اتفاق هذه الروايات على القرن الرابع، أو أوائل القرن الخامس الميلادي، باعتباره زمن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، قد يوحي بأنها نسجت حول حدث تاريخي اكتنفه الغموض نتيجة حرص كل مؤلف على توظيفه لصالح بطله، ومن ثم صبغه بالمسحة الهجيوجرافية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٤ سبتمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٩ أكتوبر ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

ثيوفيلوس الهندي؛ ثيوجنوستا؛ بولس القنطوسي؛ الجزيرة العربية؛ ظهور المسيحية

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2024.397653

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد العزيز رمضان. "نمط الأسير المبشر في الرواية المبكرة عن دخول المسيحية جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام".- دورية كان التاريخية.- السنة السابعة عشرة- العدد السادس والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٤. ص ٣٨ – ٤٩.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: aramadan@kku.edu.sa
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّاريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تزودنا المصادر الرومانية المتأخرة، منذ القرن الرابع، بإشارات متفرقة عن سمات نمط من المبشرين الأوائل لم يعره الباحثون الحديثون الكثير من الاهتمام؛ وهو النمط الذي يمكن تسميته "الأسير المبشر". ولعل المتخصصين في التاريخ المبكر للمسيحية، بمجرد اقتراح هذا المصطلح، ستتجه أذهانهم إلى حالة أسلاف أولفيلاس Ulfilas (حوالي ٣١٠-٣٨١م)، المعروف باسم "حواري القوط" (apostle of the Goths).[١] وفقًا لمؤرخ الكنيسة فيلوستورجيوس Philostorgius في القرن الرابع الميلادي، ينحدر أولفيلاس من أسرة رومانية تضم العديد من الكهنة المسيحيين، الذين تم أسرهم أثناء الهجوم القوطي على كابادوكيا وغلاطية في النصف الثاني من القرن الثالث.[٢] يقول فيلوستورجيوس: "إن هؤلاء الأسرى الأتقياء، بمخالطتهم البرابرة، جلبوا أعدادًا كبيرة إلى الإيمان الصحيح، وأقنعوهم باعتناق الدين المسيحي بدلاً من الخرافات الوثنية. وكان من بين هؤلاء الأسرى أسلاف أولفيلاس نفسه".[٣] والآن، بصفته قوطيًا رومانيًا (حوالي ٣٤٠م)، أرسل ملك القوط أولفيلاس كسفير ورهينة إلى بلاط القسطنطينية، حيث تم ترسيمه أسقفًا، ثم عاد بعد ذلك. ليبشر في شعبه لسبع سنوات.[٤]

وعلى الرغم من أن أولفيلاس وأسلافه هم الحالة الأكثر شهرة للمبشرين الأسرى، إلا أن هذا النمط يتكرر بشكل لافت للنظر في روايات المصادر المتصلة بظروف ظهور المسيحية في جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرن الرابع الميلادي. ونسبت بعض هذه الروايات تنصير عرب الجنوب إلى مبشرين أسرى، سواء من الذكور أو الإناث. والأمر الأكثر إثارة للعجب أن لهذه الروايات فيما يبدو صدى في الرواية العربية ذات الصلة. ويهدف هذا البحث إلى جمع شتات النصوص المتوفرة حول هذا النمط، ومحاولة إعادة بنائها في سياق يمكن من خلاله استنباط الدلالات التاريخية المحيطة به. ويركز على حالات رئيسة، هي: الرهينة سليل الأسرى ثيوفيلوس Theophilus، والأسيرة ثيوجنوستا Theognosta، والأسيرين الأسقف بولس القنطوسي Paul of Qenṭos والقس يوحنا الرهاوي John of Edessa، لكنه لا يغفل حالات أخرى تتوفر عنها إشارات موجزة، مثل حالة الأسرى فيميون Phimion وفرومنتيوس Frumentius وغيرهما.

أولاً: ثيوفيلوس الهندي

يُعَدّ فيلوستورجيوس أيضًا أقدم شاهد على المبشرين الأسرى والرهائن المرتبطين بتنصير جنوب شبه الجزيرة العربية. وبالرغم من أنه يقدم شخصية رهينة معاصرة لأولفيلاس، ذهب في سفارة إلى جنوب شبه الجزيرة العربية في نفس الوقت تقريبًا الذي كان فيه أولفيلاس يبشر بين القوط (حوالي ٣٤١-٣٤٨م)، فإن رهينتنا في هذه الحالة لم يكن من أصل روماني.. ووفقًا لفيلوستورجيوس، أراد الإمبراطور قسطنطيوس الثاني (٣٣٧-٣٦١ م) استكشاف الوضع الديني في جنوب شبه الجزيرة العربية وأرسل سفارة إلى "الشعب الذي كان يسمى يالسبئيين قديماً ويعرف الآن باسم الحميريين". وكان الهدف النهائي من هذه السفارة هو "تحويلهم إلى المسيحية".[٥] وكان من قادة هذه السفارة، كما يشير فيلوستورجيوس، ثيوفيلوس الهندي. وقد تم وصفه على النحو التالي: "قبل وقت طويل، عندما كان صغيرًا جدًا، في عهد قسطنطين [٣٠٧-٣٣٧م]، الإمبراطور السابق، تم إرساله إلى الرومان كرهينة من قبل الشعب المعروف باسم الديفيين Divaeans، الذي يقطن جزيرة تسمى ديفا Diva، وهم أيضًا من بين أولئك المعروفين بالهنود. والآن فإن ثيوفيلوس، خلال الفترة الطويلة التي قضاها بين الرومان، قد كون شخصيته وفق أعلى درجة من الفضيلة، ومعتقداته وفقًا للأرثوذكسية. ... ولما تولى السفارة نال كرامة الأسقفية بيد من يشاركه معتقده".[٦]

إن التشابه بين حالتي أولفيلاس وثيوفيلوس الهندي، وكذلك تزامن مهمتيهما التبشيريتين، أمر لافت للنظر.[٧] كلاهما كانا رهينتين، على الرغم من أن أولفيلاس كان في الأصل أسيرًا رومانيًا، على عكس ثيوفيلوس، الذي لا يمكن التأكد من وضعه السابق.[٨] وإن كان عرفان شهيد يشير إلى أنه كان من سلالة ملكية،[٩] حيث كان أخذ النبلاء البرابرة كرهائن في البلاط الملكي الروماني ممارسة شائعة الحدوث في ذلك

الوقت.[١٠] وكان كل منهما ينتمي، كليًا أو جزئيًا، إلى أصل أجنبي. وقد سُيموا أساقفة ثم تولوا مهمة التبشير بين الشعوب الأجنبية. والأغلب أنه عندما كلف نفس الإمبراطور الروماني، وهو قسطنطيوس الثاني، كلاً منهما بمهامه، أخذ في الاعتبار أنهم يشتركون في نفس العرق والثقافة واللغة مع هذه الشعوب، وهذه كلها اعتبارات من شأنها أن تساهم في نجاح مهمتهما.[١١] وكما أظهر الباحث في دراسة سابقة، كان اعتماد السلطات الرومانية على مبعوثين من نفس عرق وجهتهم الدبلوماسية أحد المعايير الأساسية لاختيارهم. والراجح أن القاعدة التي اتبعها أباطرة الرومان في علاقاتهم الدبلوماسية، خاصةً مع العرب، كانت إرسال مبعوثين من نفس العرق.[١٢]

ورغم أن إشارة فيلوستورجيوس لديفوس *Διβούς* باعتبارها موطن ثيوفيلوس تبدو غامضة ومثيرة للجدل بين الباحثين الحديثين، خاصة أنه لم يحدد موقعها، إلا أن نعته بالهندي "*Ἰνδός*" يمكن تفسيره لصالح أصله العربي الجنوبي. فقد استخدمت المصادر الكلاسيكية هذه التسمية للإشارة إلى شعوب مختلفة، وتحديدًا الهنود، والإثيوبيين [الأحباش]، وسكان جنوب شبه الجزيرة العربية. [١٣]وعلى نحو مماثل، تشير معظم النصوص المتعلقة بالتبشير في جنوب الجزيرة العربية إليها باسم الهند فقط. يشير جيروم (٣٤٧ –٤٢٠م) إلى بانطاينوس Pantaenos، الذي "أرسله ديميتريوس أسقف الإسكندرية إلى الهند، حيث وجد أن برثولماوس Bartholomew، أحد الرسل الاثني عشر، كان قد بشر بمجيء المسيح وفقًا لإنجيل متى بين الهنود المعروفين باسم "السعداء" [Ἰνδοῖς τοῖς καλουμένοις Εὐδαίμοσιν]، وعند عودته إلى الإسكندرية أحضر معه الإنجيل مكتوبًا باللغة العبرية". [١٤]من المرجح أن صفة "السعداء" [Εὐδαίμοσιν] هنا تشير إلى بلاد العرب السعيدة Ἀραβία Εὐδαίμων [*Arabía Eudaímōn*]، وهو اسم آخر استخدمه الكتاب الكلاسيكيون للإشارة إلى جنوب شبه الجزيرة العربية.[١٥] ويصف فيلوستورجيوس نفسه الهنود الذين زارهم ثيوفيلوس قائلاً: "كان المنتمون إلى هذا الشعب الهندي يُسمون قديماً بالسبئيين، نسبة إلى عاصمتهم سبأ، بينما يُعرفون اليوم بالحميريين [τὰ". νῦν δὲ Ὁμερίας καλεῖσθαι]."[١٦]

وقد قُدِّمت اقتراحات مختلفة مفادها أن جزيرة ديفوس ربما المقصود بها جزر المالديف[١٧] أو جزيرة سقطرى[١٨] أو سيلان[١٩] أو جزيرة أخرى في البحر الأحمر.[٢٠] إلا أن لآنا لانكينا Anna Lankina وجهة نظر أخرى تبعد عن هذه الاقتراحات، وهي أن ثيوفيلوس لم يُسمى بـ "الهندي" إلا لكون فيلوستورجيوس أشار إليه على هذا النحو، وأن هذا اللقب ربما ظهر نتيجة لارتباط ثيوفيلوس بالمناطق التي ذهب إليها كمبشر.[٢١] وقد يبدو رأي لانكينا وجيهًا، غير أن وصف فيلوستورجيوس لديفوس بأنها موطن ثيوفيلوس، عندما يقترن بإشارة المؤرخ أميانوس مارسيلينوس في القرن الرابع، "لقد تنافست الأمم الهندية حتى الديفيين *Divi* والسيرنديفيين *Serendivi* في إرسال رجالهم البارزين بالهدايا"، قد يشير إلى الأصل الهندي [العربي الجنوبي] لثيوفيلوس.[٢٢]

ولعل هذا يؤيده ما ذكره اللاهوتي الكبادوكي غريغوريوس النيصي (٣٣٥ –٣٩٤م) في كتابه الجدلي "ضد يونوميوس" *Contra Eunomium*، حيث يصف ثيوفيلوس بأنه "بليمي" Βλέμμυς، وينسبه إلى قبيلة البليميين البدوية.[٢٣] ولما كانت هذه القبيلة خلال الفترة بين القرنين الرابع والسادس استوطنت وادي النيل بجنوب مصر، في المنطقة الواقعة بين الجندلين الأول والخامس، وانتشرت شرقاً عبر الصحراء الشرقية المجاورة لهذه المنطقة حتى ساحل البحر الأحمر[٢٤]، فمن المحتمل أن رواية غريغوريوس النيصي تمثل دليلاً إضافياً على ارتباط ثيوفيلوس بجزيرة أو منطقة ما على ساحل البحر الأحمر.[٢٥]

ويشير فيلوستورجيوس إلى أن "ثيوفيلوس، بعد أن حسم المسائل المختلفة مع الحميريين بقدر ما كان ذلك ممكنًا في كل حالة، أبحر إلى جزيرة ديفا Diva، التي قيل إنها كانت موطنه. ومن هناك ذهب إلى بقية البلاد الهندية".[٢٦] ويشير فيلوستورجيوس أيضًا إلى أن المحطة التالية في مهمة ثيوفيلوس، بعد مغادرة "بلاد العرب الكبرى" Arabia Magna، هي أنه "أبحر إلى أرض أولئك الإثيوبيين الذين يُطلق عليهم اسم

الأكسوميين Aksumites، والذين يعيشون على طول شواطئ البحر الأحمر الأكثر قربًا".[٢٧] وعلى ذلك؛ يمكن القول بدرجة من الاطمئنان أن "جزيرة ديفوس" التي ذكرها فيلوستورجيوس هي إحدى جزر البحر الأحمر الواقعة بين ساحل الجزيرة العربية الجنوبي، أو على الأقل بالقرب منه، والساحل الأفريقي.

ويدعم هذه الفرضية أيضًا حقيقة أن ثيوفيلوس على الأرجح اتبع الطريق المعتاد للتجار والمبعوثين الرومان للوصول إلى مملكة أكسوم [الحبشة]؛ فوفقًا لمؤرخ القرن السادس يوحنا مالالاس John Malalas: "يوجد إمبراطور الأكسوميين *Axoumitai* في الداخل بعد الحميريين *Homeritai* ، بينما يوجد إمبراطور الحميريين بالقرب من مصر. ومن خلال بلاد الحميريين يصل التجار الرومان إلى أكسوم والإمبراطوريات الهندية في الداخل".[٢٨] وثمة شاهد أخر قد يتصل بمهمة ثيوفيلوس نفسها، ربما يدعم سفره على نفس الطريق. إنه مرسوم أصدره الإمبراطور قسطنطيوس Constantius إلى الحاكم البرايتوري موسونيانوس Musonianus [في عام ٣٥٦ م] بشأن مبعوثيه في الإسكندرية المتجهين إلى الأكسوميين والحميريين.[٢٩] وعلى ذلك، من الممكن أن نتخيل أن مهمة ثيوفيلوس بدأت من مصر إلى جنوب الجزيرة العربية، ثم إلى أحد الموانئ أو الجزر المقابلة لها على الساحل الأفريقي، ومن هناك إلى الحبشة.

وبحسب فيلوستورجيوس، كان الهدف النهائي لهذه السفارة هو تحويل سكان جنوب الجزيرة العربية إلى المسيحية. ويقول إن الإمبراطور قسطنطيوس "خطط لكسب زعيم الشعب من خلال روعة وعدد هداياه، وبالتالي إتاحة الفرصة لغرس بذور الإيمان فيه. كما طلب أن يُسمح ببناء كنيسة للرومان الذين يسافرون إلى هناك ولأي شخص من السكان المحليين قد يتحول إلى الإيمان. ومنح السفارة مبلغًا سخيًا لتكلفة البناء".[٣٠] ويبدو أن فيلوستورجيوس وجد أن مجرد الإشارة إلى هدايا الإمبراطور الروماني ليس كافيًا لجذب حاكم الجنوب نحو المسيحية، لذلك شرع في إشارة لاحقة إلى تقديم تفاصيل هذه الهدايا: "قام قسطنطيوس بتجهيز السفارة على نحو فخم وبأقصى قدر من الروعة، حيث أرسل معها مائتي حصان من أفضل سلالات الخيول من كبادوكيا تم نقلها على متن سفن مصممة لنقل الفرسان، بالإضافة إلى العديد من الهدايا الأخرى المعدة لإثارة الدهشة من فخامة هذه الهدايا وإبهار الناظر إليها".[٣١]

ولعل الحرص على تسجيل هذه التفاصيل يشير إلى رغبة فيلوستورجيوس في إظهار مدى اهتمام الإمبراطور الروماني بتحقيق هدفه من المهمة، أو الترويج له باعتباره "مبشراً" لا يبخل بما هو غال ونفيس من أجل نشر المسيحية.[٣٢] ولعل هذا كان أيضاً مقدمة للهدف الذي سعى فيلوستورجيوس لاحقاً إلى التلميح إليه، وهو أن هذه الهدايا، على كثرتها وتعددها –مقارنة بالمغريات الأخرى الكامنة في المسيحية ذاتها – لم تكن العامل الفعال في جذب حاكم الجنوب إلى المسيحية. ولكي يمهد الطريق لدعايته الدينية اللاحقة في تمجيد الأثر المسيحي –المتجسد في شخص الأسقف ثيوفيلوس– في تنصير حاكم الجنوب، يتوقف فيلوستورجيوس عند فقرة ينتقل فيها إلى الحديث عن أصل وتدين ثيوفيلوس وكيف اختار الحياة الزهدية، وترقى في الرتب الكهنوتية، حتى رُسم أسقفاً عند اضطلاعه بالمهمة.[٣٣]

ويستأنف فيلوستورجيوس الحديث عن ظروف لقاء ثيوفيلوس بالحاكم الحميري فيقول: "عندما وصل ثيوفيلوس إلى السبئيين، حاول إقناع حاكمهم بعبادة المسيح ونبذ الخطأ الوثني. والآن حاول اليهود بطريقتهم المعتادة مقاومته، غير أن ثيوفيلوس عندما أظهر بأعماله العجيبة في أكثر من مناسبة مدى قوة الإيمان المسيحي، تقلصت المعارضة ولجأت، وإن كان ذلك على مضض، إلى الصمت التام".[٣٤] يشير هذا النص بوضوح إلى أنه على الرغم من وثنية الحاكم وشعب الجنوب، إلا أن اليهود كانوا يتمتعون بنفوذ قوي وشكلوا مجموعة ضغط داخل البلاط، لدرجة تدخلهم المباشر لعرقلة مهمة ثيوفيلوس. وربما أراد فيلوستورجيوس أن يوضح سبب اتخاذ اليهود – وليس الوثنيين – لهذا الموقف من خلال الإشارة المستترة إلى عدائهم التقليدي للمسيحية. ومن المفهوم أيضاً من النص أن ثيوفيلوس خاض نقاشاً دينياً مع خصومه اليهود، وإن لم يذكر ذلك صراحة، وأنه نجح بفضل قدراته الخاصة كأسقف –أو كما يشير النص، بفضل "أعماله العجيبة"– في تحقيق النصر للمسيحية

وتأكيد تفوقها. والواقع أن هذه الدعاية، بما تحمله من معجزات، كانت نمطاً مألوفاً في الروايات الرومانية المتأخرة عن التنصير.[٣٥] وكما يشير عرفان شهيد: "لقد قطعت المعجزات التي قام بها ثيوفيلوس أثناء مهمته في جنوب الجزيرة العربية شوطاً طويلاً في تحويل حاكمه إلى المسيحية. وكان المبشر المتحمس المتسلح بموهبة صانع المعجزات، نمطًا فعالًا بشكل خاص كأداة لتنصير البرابرة".[٣٦]

ورغم أن الغرض الأصلي للإمبراطور قسطنطيوس من المهمة كان تحويل حاكم الجنوب إلى المسيحية وبناء كنيسة للمسافرين الرومان ولأي من السكان المحليين الذين قد يعتنقون المسيحية، فإن ما حققه ثيوفيلوس كان أبعد من ذلك بكثير. وفي هذا الصدد، يقول فيلوستورجيوس: "كانت سفارته ناجحة؛ فقد تحول حاكم الأمة إلى الإيمان بكل إخلاص، وبنى ليس كنيسة واحدة، بل ثلاث كنائس في بلاده. ولم يفعل ذلك من الأموال الإمبراطورية التي جلبتها السفارة، بل من خلال ما تبرع به هو بنفسه بحماس؛ وقد تأثر بأعمال ثيوفيلوس إلى الحد الذي جعله حريصًا على منافسة حماسته. فبنى إحدى [هذه] الكنائس في عاصمة الأمة بأكملها، والمعروفة باسم تافرون Tapharon [ظفار]. والكنيسة الأخرى في مركز السوق الروماني، باتجاه المحيط الخارجي. في المكان المعروف باسم عدن، وهو المكان الذي اعتاد المسافرون من الأراضي الرومانية النزول فيه. وكانت الكنيسة الثالثة تقع في الجزء الآخر من البلاد، حيث يوجد مركز سوق فارسي معروف عند مصب الخليج الفارسي هناك".[٣٧]

وثمة جدل علمي حول مدى التغيير الديني الذي أحدثته مهمة ثيوفيلوس في جنوب الجزيرة العربية؛ إذ يعتقد أكثر الباحثين أن هذه الكنائس الثلاث كانت مخصصة للتجار والمقيمين الأجانب في المقام الأول وليس للسكان المحليين. ويقترح أميدون Amidon – مترجم نص فيلوستورجيوس من اليونانية إلى الإنجليزية – أن "الكنائس الثلاث كانت تقع في العاصمة وفي مركزين ساحليين، حيث يعيش الأجانب المقيمون".[٣٨] ويقترح كريستيان روبن Christian Robin أن الهدف الواضح من بناء هذه الكنائس هو أن تكون وجهة للأجانب العابرين.[٣٩] ويتجه كل من ألبريشت ديل Albrecht Dihle وفرانسوا شاتونيه Françoise Chatonnet إلى التشكيك في رواية فيلوستورجيوس لكونها لم تصل إلينا من خلال أي مصدر آخر.[٤٠] ويتابع شاتونيه قائلاً: "إذا افترضنا أي أساس حقيقي لهذه القصة، فسيبدو أن أماكن العبادة المشار إليها كانت للتجار المسيحيين الأجانب المقيمين بشكل مؤقت في البلاد وليس لتلبية احتياجات المسيحيين المحليين".[٤١]

وقد يبدو هذا الطرح وجيهًا فيما يتعلق بكنيستي عدن وهرمز، وهما ميناءان تفرض طبيعتهما التجارية صعوبة اكتشاف درجة تغير الوضع الديني فيهما، مع الوضع في الاعتبار أن كنائسهما كانت مخصصة للتجار الأجانب الذين كانوا مسيحيين في الأصل، إلا أن وجود كنيسة ثالثة في العاصمة الحميرية ظفار، مخصصة – بحسب رواية فيلوستورجيوس– للحاكم المسيحي الجديد وشعبه، يثير تساؤلات حول التأثير الديني لمهمة ثيوفيلوس في الداخل الحميري. وهذا يدعونا إلى مناقشة ما سجلته المصادر المسيحية الشرقية الأخرى، خاصة تاريخ يوحنا النقيوسي John of Nikiu (بعد ٦٨٠–٦٩٠ م)، عن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية.

ثانيًا: الراهبة الأسيرة ثيوجنوستا (Theognosta)

تتفق روايتان مصدريتان لاحقتان، من القرنين السابع والثامن الميلاديين، رغم اتسامهما بالتشوش والغموض، على أن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية تم على يد أسيرة أنثى. أول هاتين الروايتين يقدمها لنا التاريخ الزوقنيني السرياني، الذي تم تأليفه عام ٧٧٥م، في شكل إشارة بالغة الإيجاز تنص على أنه "في سنة ستمائة وستة عشر (٣٠٤/٣٠٥م): تقبل أهل حمير إيمان المسيحيين من خلال أسيرة".[٤٢] وفي الرواية الثانية، الأكثر تفصيلاً وقابلية للتحليل، يصف يوحنا أسقف نقيوس ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية على النحو التالي: "... بعد وفاته [الإمبراطور قنسطانز Constans]، عرف شعب اليمن الله، واستناروا بتسبيح المسيح عن طريق قديسة اسمها ثيوجنوستا. وهي عذراء

مسيحية أُخذت أسيرة من دير على حدود الإمبراطورية الرومانية، وسِيقت إلى ملك اليمن وقدمت له كهدية. وأصبحت هذه المرأة المسيحية غنية جدًا بنعمة الله، وأجرت معجزات علاجية كثيرة. لقد أدخلت ملك الهند إلى الإيمان، وصار بها مسيحياً شأن جميع أهل الهند. ثم طلب ملك الهند ورعاياه من الإمبراطور المحب لله هونوريوس Honorius أن يكرس لهم أسقفًا. وابتهج بفرح عظيم لأنهم آمنوا ورجعوا إلى الله، فأقام لهم أسقفًا قديسًا اسمه ثيونيوس Theonius... وهكذا كان الحال أيضًا في الهند، الهند الكبرى، لأن رجال ذلك البلد كانوا قد استقبلوا قبلًا رجلاً اسمه أفروديت Afrūdīt (فرومنتيوس Frumentius). وكان نبيل المولد من بلاد الهند وجعلوه أسقفًا عليهم، بعد أن كرسه ورسمه أثناسيوس الرسولي Athanasius the apostolic بطريرك الإسكندرية."[٤٣]

في دراستها عن النساء الأسيرات والتحول إلى المسيحية على الحدود الرومانية الشرقية، تناقش أندريا ستيرك Andrea Sterk قصة ثيوجنوستا في سياقها الأسطوري، إلى جانب حالتين أخريين تنتميان إلى أرمينيا وجورجيا،[٤٤] كنموذج لدراسة التاريخ من الأسفل. وخلصت إلى أن "روايات المبشرات الأسيرات قد تخبرنا المزيد عن المفاهيم الشعبية والحقائق الملموسة للتبشير أكثر مما تم الاعتراف به عادةً في التبشير بالمسيحية كأداة للإمبريالية الرومانية والبيزنطية المتأخرة".[٤٥] ومع ذلك، فإن طبيعة هذه الروايات دفعت ستيرك إلى الاعتراف بأنه «بسبب المسحة الأسطورية أو الرومانسية لهذا الموضوع، مال المؤرخون إلى إهمال مثل هذه الروايات؛ ومن المؤكد أنها، على أحد المستويات، لا تأخذنا بعيدًا في كشف التفاصيل التاريخية لتنصير هذه الأمم.[٤٦] وعلى النقيض من هذا الطرح، أرى أنه في حالة جنوب شبه الجزيرة العربية، قد تقودنا دراسة قصة ثيوجنوستا في سياق الروايات التبشيرية المرتبطة بالمنطقة، خاصة تلك المتعلقة بثيوفيلوس الهندي، إلى استنتاج بعض أوجه التشابه المثيرة للانتباه حول ظهور المسيحية هناك.

على الرغم من المسحة الهجبوجرافية [مسحة سير القديسين ومعجزاتهم] الواضحة لهذه القصة، مثل العديد من قصص التنصير التي ترجعه إلى المعجزات التي قام بها المبشر، إلا أنها تتفق مع رواية فيلوستورجيوس في عدة جوانب؛ إذ تدور أحداث كلتا القصتين في عهد الإمبراطور قسطنطيوس الثاني، فيوحنا النقيوسي يبدأ روايته بوضع الأحداث مباشرة بعد وفاة الإمبراطور قنسطانز Constans (٣٣٧-٣٥٠م). كما تشير القصتان إلى تأثير روماني متأخر واضح في ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، وإن استبدلت شخصية المبشر ثيوفيلوس بالراهبة الأسيرة. والأهم من ذلك أن الروايتين تخبرنا أن الملك الحميري اعتنق المسيحية وأنشأ دور للعبادة. وكانت رواية فيلوستورجيوس أكثر تحديدًا بالإشارة إلى إنشاء ثلاث كنائس في عدن وظفار وعند مصب الخليج الفارسي (العربي). وتتناغم ضرورة وجود تنظيم كنسي وهيئة كهنوتية في هذه الكنائس مع رواية يوحنا النقيوسي بشأن طلب الملك الجنوبي من الإمبراطور [الروماني] إرسال أسقف للإشراف على هذه المؤسسة الكنسية الناشئة، على الأرجح في كنيسة العاصمة من ظفار.

وبوصفه أسقف قبطي بعيد عن جنوب الجويرة العربية، وكتب بعد أكثر من ثلاثة قرون من الأحداث، فإن ارتباك يوحنا النقيوسي في تحديد شخصيات رواياته قد يلقي بظلال من عدم الموثوقية عليها. إنه يذكر هونوريوس الذي حكم من عاصمة الغرب الروماني في الفترة (٣٩٥ -٤٢٣م)، كإمبراطور معاصر طلب منه ملك الجنوب تعيين أسقف. هناك فجوة زمنية مداها نصف قرن بين تاريخ وفاة الإمبراطور قنسطانز واعتلاء الإمبراطور هونوريوس. كما أن المسافة البعيدة بين رافنا وظفار لا تجعل من الممكن تصور وجود علاقات وثيقة بين العاصمتين. كذلك فإن جميع الأدلة المصدرية، بما في ذلك فيلوستورجيوس، تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت مجالًا حيويًا لاهتمام أباطرة الشرق وليس الغرب. وقد أشارت ستيرك Sterk بالفعل إلى أن جنوب الجزيرة العربية لم يحظ بعلاقات دبلوماسية مهمة مع الغرب، وكان يقع كنسيًا وسياسيًا

تحت نفوذ كل من مملكة أكسوم في إثيوبيا والإمبراطور الروماني الشرقي في القسطنطينية، لكنها فسرت ذلك على أنه "في ضوء النضال من أجل الاستقلال عن كل من أكسوم وبيزنطة، ليس من المستغرب أن يحاول الملك التحرر من السلطات القريبة من وطنه".[٤٧] وهنا، تقبل ستيرك صحة هوية الإمبراطور التي حددها يوحنا النقيوسي، متجاهلة تمامًا رواية فيلوستورجيوس، التي تشير إلى إلى مهمة ثيوفيلوس كأول محاولة رومانية شرقية لتنصير الجنوب في عهد قسطنطيوس، وبعد وفاة أخيه قنسطانز، وتقترح بدلاً من ذلك فرضية غير منطقية مفادها أن الملك الجنوبي سعى إلى إبعاد نفسه عن كل من بيزنطة وأكسوم، رغم أنه من المنطقي أن فيلوستورجيوس، المعاصر للحدث الذي يسجله، قد يكون أكثر مصداقية ودقة من يوحنا النقيوسي، الذي سجل روايته بعد الحدث بأكثر من ثلاثة قرون.

ومع ذلك، قد تحتوي رواية يوحنا النقيوسي على مضامين تشير إلى توقيت الحدث وتؤكد تشوش روايته في تحديد هذا التوقيت بدقة؛ فبالإضافة إلى إشارته التمهيدية "بعد وفاته" [أي وفاة الإمبراطور قنسطانز]، فإنه يقدم يختتم روايته بملاحظة عن حدث سابق – سجلته مصادر معاصرة أخرى – بقوله: "إن شعب الهند الكبرى [أكسوم] استقبل قبلًا رجلاً نبيل المولد اسمه أفروديت (فرومنتيوس) وجعلوه أسقفًا لهم، بعد أن عيّنه ورسمه أثناسيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية".[٤٨] ويبدو أن إشارة يوحنا النقيوسي غير المتوقعة لفرومنتيوس في سياق حديثه عن دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة العربية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بإحدى المهام التي عهد بها الإمبراطور قسطنطيوس الثاني إلى ثيوفيلوس الهندي، وهي تسليم رسالة إلى ملك أكسوم عيزانا Ezana، يطلب فيها استبدال فرومنتيوس (النيقي) بثيوفيلوس الهندي (الأريوسي)، وإرسال فرومنتيوس إلى الإسكندرية ليرجع عن عقيدته ويقومها بتبني المذهب الأريوسي، وهو الطلب الذي رفضه الملك الأكسومي.[٤٩] ومن المحتمل أن العلاقة الوثيقة بين كنيستي الإسكندرية وأكسيوم دفعت يوحنا النقيوسي – كما تشير ستيرك– إلى تجريد الإمبراطور الأريوسي قسطنطيوس الثاني من فضل تنصير ملك الجنوب وشعبه ونسب ذلك إلى شخصية أخرى. ويبدو في نسج ملامح هذه الشخصية أنه تأثر بنموذج فرومنتيوس. وبحسب مؤرخي الكنيسة في القرنين الرابع والخامس، فإن فرومنتيوس – مثل الراهبة ثيوجونوستا – كان أسيرًا من صور، تم اقتياده إلى ملك أكسيوم الشاب عيزانا، وسرعان ما نال ثقته، ونجح بمعجزاته في جذب الملك وشعبه إلى المسيحية.[٥٠]

ورغم الميل إلى افتراض فرومنتيوس، أو حتى ثيوفيلوس، كنموذج أثر على رواية يوحنا النقيوسي، يبدو أن نمط الأسير المبشر قد ساد على الحدود والمناطق الرومانية الشرقية. بل بما أنه أسقف قبطي، فمن المرجح أن نموذجه للراهبة الأسيرة كان أكثر تأثرًا بالتقليد القبطي. وحسب رواية السنكسار القبطي، كانت ثيوجونستا عذراء رومانية مسيحية "معاصرة للإمبراطورين الصالح هونوريوس وأركاديوس". تم أسرها من قبل مبعوث ملك الهند إلى الإمبراطورين أثناء رحلة عودته إلى الوطن، وأصبحت رئيسة خدم الملك وزوجاته. وفي وقت لاحق، حولته هو وشعبه إلى المسيحية على نحو إعجازي.[٥١]

ثالثًا: الأسقف بولس القنطوسي (Paul of Qenṭos) والقس يوحنا الرهاوي (John of Edessa) والتأثير على الرواية العربية:

من بين الروايات الهجيوجرافية [المنتمية إلى نمط سير القديسين ومعجزاتهم]، يزودنا كاتب "تاريخ الأعمال العظيمة للأسقف بولس من قنطوس والقس يوحنا الرهاوي" بقصة أخرى عن رجلي دين أسيرين نسب إليهما دورًا رئيسًا في تنصير الحميريين بجنوب شبه الجزيرة العربية. وبحسب القصة؛ غادر بولس أسقفيته في إيطاليا عازمًا على سلوك حياة نسكية في الرها، وهناك تعرف القس يوحنا على معجزاته وناشده رفقته في أسفاره. وبالفعل غادر الإثنان الرها في زيارة لرهبان جبل سيناء، لكنهما لم يبلغا غايتهما؛ إذ اختطفهما جماعة من العرب "البدو"، واقتادوهما إلى بلاد الحميريين ليكونا قربانًا لشجرتهم المقدسة. وبعد أن نجحت معجزات الرجلين في جذب الكثيرين إلى المسيحية، ومع غضب الملك لذلك، دار نقاش معه انتهى

بقدرة الرجلين على إهلاك شجرتهم المقدسة على نحو إعجازي. ونتيجة لذلك أقبل الملك وجميع نبلائه وعامة شعبه على تلقي طقس المعمودية.[٥٢]

ورغم أن هذه الرواية تحدد تاريخًا مختلفًا لدخول المسيحية جنوب الجزيرة العربية، إلا أن التاريخ المحدد فيها، وهو أوائل القرن الخامس الميلادي، لا يبتعد كثيرًا عن مهمة ثيوفيلوس البيزنطية عام ٣٥٦م، أو عن رواية يوحنا النقيوسي بعد ضبط تاريخها بفترة ما بعد وفاة الإمبراطور قنسطانز عام ٣٥٠م. كذلك ثمة قواسم مشتركة تجمع الروايات الثلاث، أهمها أن أبطالها كانوا في الأصل رجال دين أو رهبان، نجحوا بفضل معجزاتهم في تحويل شعب الجنوب وملكهم إلى المسيحية.

ويعقد هانز أرنيسون (Hans Arneson) مترجم "تاريخ الأعمال العظيمة" صلة بين قصة كل من بولس ويوحنا والرواية العربية المتداولة في المصادر العربية الإسلامية عن ظروف دخول المسيحية جنوب شبه الجزيرة العربية، وذهب إلى تأثيرها المباشر على القصة التي أوردها الطبري عن ظهور المسيحية في نجران على يد الزاهد الورع "فيميون" صانع المعجزات، ورفيقه "صالح"، اللذان تم أسرهما على يد قافلة من العرب، نقلتهما إلى نجران، حيث تم أيضًا اقتلاع نخلة النجرانيين المقدسة على نحو إعجازي.[٥٣] ويبدو طرح أرنيسون وجيهًا في ظل التماثل الواضح بين القصتين، غير أن هذا الاقتباس الذي يبدو مباشرًا وصريحًا لا ينفي تأثيرات أخرى —ربما أقدم— على الرواية العربية نبعت من شيوع نمط "الأسير المبشر" على الحدود العربية-البيزنطية، خصوصًا أن هناك رواية عربية أخرى —سيأتي ذكرها لاحقًا— حملت ذات القواسم المشتركة.

ويبدو أن شيوع هذا النمط ساعد على اقتباسه في العديد من الروايات المسيحية. ورغم أن قصة اعتناق الملكة العربية مافيا/ ماويا للمسيحية معروفة وموثقة بالكامل،[٥٤] إلا أن ذلك لم يمنع من استعارة نمط المبشر الأسير فيها؛ فحسب المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس Theophanes: "في هذا العام [٣٧٦/٣٧٧م] طلبت ماويا، ملكة السراقنة [العرب]، التي ألحقت ضررًا كبيرًا بالرومان، الصلح. وطلبت أن يُعيّن موسى، أحد نساك الصحراء، أسقفًا على أولئك السراقنة الذين اعتنقوا المسيحية. ... يقولون إنها كانت مسيحية ورومانية بالعرق، وبعد أن تم أسرها، أغرت إمبراطور السراقنة بجمالها، وهكذا سيطرت على الإمبراطورية".[٥٥] وقد حرص ثيوفانيس هنا على التأكيد على أنه كان ينقل قصة يتداولها البعض، دون الحكم على موثوقيتها. ويبدو أيضاً أنه حرص على عدم الإشارة صراحة إلى تأثير الأسيرة في تنصير الملك وشعبه، وإن بدا أنه يلمح إلى ذلك. لقد بقيت هذه القصة حية في الأذهان حتى القرن الثالث عشر، عندما أدرجها ميخائيل السرياني في تاريخه، وأضاف إليها: "كانت هذه الملكة من أصل روماني، ثم أُسرت، وكان ملك العرب يقدّرها لجمالها.. ولم تتخل عن إيمانها، وعندما أصبحت ملكة، تحول بفضلها عدد كبير من السكان إلى المسيحية".[٥٦]

ومن المهم ملاحظة - كما هو واضح في حالات ثيوفيلوس وثيوجونستا وبولس ويوحنا- أن الأسير المبشر فيها اقترن بتأثير واتصال مباشر مع ملوك الجنوب، ومن خلال تنصرهم اتبعتهم شعوبهم. إن حياة الأسير النسكية ومعجزاته، خاصة معجزات الشفاء، كانت دائمًا العامل الحاسم في التحول إلى المسيحية. ومن اللافت للنظر أيضًا أن هذا النمط فيما يبدو أثر في الرواية العربية المتعلقة ببداية المسيحية في الجنوب، وتحديدًا في نجران؛ فبالإضافة إلى رواية الطبري —المذكورة قبلًا- عن فيميون وصالح، يروي عدد من المصادر التاريخية وكتب السيرة النبوية قصة أخرى عن الأسير المسيحي "فيميون" ودوره في ظهور المسيحية بنجران. وقد رووا ذلك عن وهب بن منبه (٦٥٤ -٧٢٨م). وينحدر وهب من عائلة يهودية يمنية اعتنقت الإسلام، وتعمق في دراسة الكتب القديمة والكتاب المقدس، واهتم بالكتابة عن عصور ما قبل الإسلام.[٥٧] ولسوء الحظ، ضاعت معظم أعماله، لكن روايته عن فيميون حفظها ابن إسحاق (٧٠٤-٧٦٨م)، ثم ابن هشام (ت ٨٣٣م) وآخرون كثيرون. وبحسب ابن هشام، كان فيميون زاهدًا متجولًا، عاش في قرية بالشام، وجرت على يديه معجزات كثيرة. ذهب ذات مرة إلى حدود العرب، فأسره بعض العرب وجاءوا به إلى نجران، حيث اشتراه أحد أشرافها. وبسبب زهده وانخراطه في معجزات أخرى، تبعه أهل

نجران.[٥٨] وفي قصة كهذه يبدو التأثير المسيحي واضحًا. من الممكن أن يكون وهب، الذي يعرف اللغتين العبرية والسريانية كما أشار هو نفسه في أحد أعماله الباقية،[٥٩] قد استمد روايته عن فيميون من إحدى القصص المتداولة عن نمط المبشر الأسير. وتشير أوجه التشابه الواضحة بينها وبين قصص ثيوجونستا وفرومنتيوس إلى ذلك.

ويذكر وهب في كتابه "التيجان في ملوك حمير" في سياق الحديث عن ملك اسمه عبد كليل بن يانوف أنه "كان مؤمنا بدين عيسى وكتم إيمانه". ويؤرخ وهب حكم هذا الملك بأربعة وستين سنة، وجعله الملك السادس قبل عهد يوسف ذو نواس الذي حكم في العشرينيات من القرن السادس الميلادي، بفاصل زمني نحو قرنين من الزمان.[٦٠] وهذا يعني أن عبد كليل –إن صحت الرواية– حكم في منتصف القرن الرابع تقريباً. وعلى الرغم من الطابع الأسطوري العام الذي يهيمن على الكتاب، ومبالغته الواضحة في تأريخ فترات حكم الملوك الحميريين، إلا أن مثل هذه الرواية لا تخلو من أهمية، بل قد تتناغم مع روايات فيلوستورجيوس ويوحنا النقيوسي حول وجود ملك مسيحي في جنوب شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت. وإذا صح هذا الافتراض فمن الممكن الربط بين روايتي وهب عن كل من الملك عبد كليل والأسير فيميون لنفترض أن الأخير – بحسب وهب – كان معاصرًا لنفس الفترة تقريبًا للرهينة ثيوفيلوس والأسيرة ثيوجونستا.

خَاتِمَةٌ

من الصعب الحكم على دقة هذه الروايات وتحديد هوية الشخص الذي دخلت المسيحية على يديه إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، خصوصًا أن هناك روايات أخرى تنسب ذلك إلى تاجر نجراني اسمه حنان Ḥannān عاش في زمن يزدجرد Yazdgrid،[٦١] أو إلى نجراني آخر يسمى حيان Ḥayyān عاش في فترة ما خلال القرن الخامس، أو ربما القرن الرابع،[٦٢] أو إلى كاهن نجراني، السجين أزقير Azqir، الذي عاش في الفترة (٤٥٥-٤٧٥م).[٦٣]

سائر هذه الروايات ذات مسحة هجيوجرافية واضحة، ومعظمها ينسب دخول المسيحية في سياق مدح نضال الأسير أو السجين أو المضطهد ضد المعارضين الوثنيين أو اليهود. وهدفهم الأسمى هو الانتصار للحق على الباطل وتأكيد تفوق المسيحية على الوثنية. لقد واجه ثيوفيلوس الهندي معارضة من فريق يهودي مؤثر في بلاط الملك الحميري وانتصر بفضل معجزاته. ونجح الأسرى ثيوجونستا وفيميون وفرومنتيوس في مواجهة نير الوثنيين بهدايتهم باستخدام نفس سلاح المعجزات. وعلى الرغم من تعرض أزقير للسجن والاضطهاد على يد ملك يهودي، إلا أنه تمكن من تحويل أهل نجران إلى المسيحية بنفس الأداة. حتى النبيلة النجرانية حبصة، التي عانت من الاضطهاد على يد الملك اليهودي يوسف ذو نواس، كان لابد أن تنسب الفضل إلى جدها حيان في غرس المسيحية في نجران.

ويبدو أن هذا الهدف اقتضى استخدام الأسرى كمبشرين في أكثر من سياق مختلف. ومن المهم أن نأخذ في الاعتبار اختلاف مؤلفي النصوص واختلاف أصولهم وخلفياتهم. لقد اختار فيليستورجيوس شخصية ثيوفيلوس الهندي، رهينة ثم أسقفاً في عهد قسطنطيوس. واختار الأسقف المصري يوحنا النقيوسي راهبة قبطية أسيرة. واختارت الروايات العربية أسيرًا سورياً كان ناسكاً متجولاً. ولذلك فإن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية يُعزى إلى أكثر من شخصية. إلا أن اتفاق هذه الروايات على القرن الرابع، أو أوائل القرن الخامس الميلادي، باعتباره زمن ظهور المسيحية في جنوب الجزيرة العربية، قد يوحي بأنها نسجت حول حدث تاريخي اكتنفه الغموض نتيجة حرص كل مؤلف على توظيفه لصالح بطله، ومن ثم صبغه بالمسحة الهجيوجرافية.

الإحالات المرجعية:

(1) Sivan, Hagith. "Ulfila's Own Conversion", *The Harvard Theological Review* 89, no.4 (Oct., 1996): 373-386; Scott, Charles. *Ulfilas, Apostle of the Goths*, Kessinger Publishing., 2009.

(٢) سجل المؤرخ الكنسي سوزومين Sozomen هذا الحدث دون أي إشارة إلى أولفيلاس. ووفقا له: "... سكن كثير من كهنة المسيح الذين تم أسرهم بين هذه القبائل؛ وأثناء إقامتهم بينهم قاموا بشفاء المرضى... وقد اندهش البرابرة من السلوك المثالي والأعمال الرائعة لهؤلاء القديسين..."

Sozomen, *History of the Church*, trans. E. Walford, London, 1855, 60.

(3) Philostorgius, *Church History*, trans. Ph. A. Amidon, Atlanta: Society of Biblical Literature, 2007, 20.

(4) Philostorgius, *Church History*, 20.

(5) Philostorgius *Church History*, 40; Greek: Philostorgius, *Kirchengeschichte*, Berlin, 1981, 32.

(6) Philostorgius, *Church History*, 40; Greek: Philostorgius, *Kirchengeschichte,* 33.

(٧) من الجدير بالذكر أن آنا لانكينا تناولت بعثات كل من يوليفيلاس وثيوفيلوس دون ملاحظة أي من أوجه التشابه بينهما.

Lankina, Anna. *Reclaiming the non-Nicene Past. Theophilus the Indian and Ulfila the Goth as Missionary Heroes*, MA diss., University of Florida, 2011.

(٨) في سياق معالجتها لرواية يوحنا أسقف نقيوس عن حالة الأسيرة ثيوجنوستا، التي سيتم تناولها لاحقًا، لمحت أندريا ستيرك إلى اعتقادها بأن ثيوفيلوس كان في الأصل - مثل أولفيلاس - أسيرًا. إذ تقول: "يتجاهل يوحنا تقليد الرسول برتلماوس والمبشر ثيوفيلوس، وهو أسير تنصر في القسطنطينية وأرسله الإمبراطور قسطنطيوس، ويركز بدلاً من ذلك على امرأة قديسة اسمها ثيوجنوستا".

Sterk, Andrea. "Mission from Below: Captive Women and Conversion on the East Roman Frontiers", *Church History* 79, no.1 (March 2010): 11.

(9) Shahid, Irfan. *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1984, 96-7.

(10) Allen Joel. *Hostages and Hostage-taking in the Roman Empire*, Cambridge/New York, 2006: 245-53; Kosto A. J. "Transformation of Hostageship in Late Antiquity", *Antiquité Tardive* 21 (2013): 265-82.

(١١) كما يقترح ألكسندر أنجيلوف، "نظرًا لأن التنصير الملكي مذكور هنا، نحتاج إلى ملاحظة أن قسطنطينوس على الأرجح قد عين ثيوفيلوس رئيسًا للسفارة بسبب إلمامه المفترض بالثقافة واللغات المحلية."

Angelov, A.B. *Conversion and Empire: Byzantine Missionaries, Foreign Rulers, and Christian Narratives (ca. 300-900)*, PhD diss., The University of Michigan, 2011, 213.

(١٢) في القرن السادس، على سبيل المثال، تخصصت عائلة يوفراسيوس Euphrasius في البعثات الدبلوماسية مع العرب. وفي سنة ٥٠٢م خرج في سفارة للتفاوض مع الحارث الكندي [أريثاس]. وفي عام ٥٢٤م، خرج ابنه إبراهيم في سفارة إلى المنذر، ثم في سفارة أخرى عام ٥٢٨م إلى قبائل كندة ومعان. وأخيرًا شارك الحفيد نونسوس Nonnosos في سفارة إلى قيس Kaisus عام ٥٣١م. عبد العزيز رمضان: معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦م، ص٥٩-٦٠.

(١٣) استخدمت المصادر الكلاسيكية، بدءاً من هوميروس وهيرودوتس فصاعداً، مصطلح "الهنود" للإشارة إلى هذه الشعوب. انظر:

Nadeau, J.Y. "Ethiopians", *Classical Quarterly* 20(1970): 339-349; Dihle, A. "The Conception of India in Hellenistic and Roman Literature", *Proceedings of the Cambridge Philological Society* 190= new ser. 10(1964): 15-23. This tradition was inherited by early Byzantine sources. See: Mayerson, Ph. "A Confusion of Indias: Asian India and African India in the Byzantine Sources", *Journal of the American Oriental Society* 113, no.2 (Apr.-Jun., 1993): 169-174; Schneider, P. *L'Éthiopie et l'Inde: Interférences et confusions aux extrémités du monde antique (VIIIe siècle avant J.-C.–VIe siècle après J.-C.)*, École française de Rome, 2004.

(14) Hieronymus. *De Viris Illustribus, Liber ad Dextrum*, *PL* 23, cols. 683-686; Eng. trans. E.C. Richardson, in: *Nicene and Post-Nicene Fathers*, ed. Ph. Scaff, New York, 1893, vol.3, ch. xxxvi.

(١٥) انظر مثلاً: Pliny *HN*, 5.12.65; 6. 31. 38; 12. 30. 51.Text *History* ed. with an edition used here is: Pliny, *Natural* English translation. H. Rackham, 10 vols. [LCL], Harvard 1986-1999; Kosmas Indicopleustes University Press *Christian Topography* III, 66, 2-3, ed. Wanda Wolska-Conus, *Cosmas Indicopleustes, Topographie Chretienne*, I-III, Paris 1968-1973, [Sources Chrétiennes 141, 159, 197] vol. I, 505; Harland, Philip. "Arabians: Agatharchides and Diodoros on peoples of Arabia Felix on the eastern coast of the Red Sea (second-first centuries BCE)," *Ethnic Relations and Migration in the Ancient World*, last modified May 7, 2023, https://philipharland.com/Blog/?p=13760

(16) Philostorgius*, Church History*, 22.; Greek: Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, 18.

(17) Philostorgius*, Church History*, p.40; Fiaccadori, G. "Teofilo Indiano," *Studi Classici e Orientali* 33(1984): 295–331, esp.315f.

(18) (18) Klein, R. *Constantius II und die christliche Kirch*, Darmstadt, 1977, 270; Lightfool, C.S. *The Eastern Frontier of the Roman Empire with Special Reference to the Reign of Constantius II*, PhD dissertation, St. John's College, Oxford, 1981, 35 n.105; Trimingham, J.S. *Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times*, London, New York, 1979, 291. For the proposal of either the Maldives or Socotra, see: Dihle, A. "L'ambassade de Théophile l'Indien ré-examinée," in *L'Arabie préislamique et son environment historique et culturel: Actes du Colloque de Strasbourg 24–27 Juin 1987*, ed. T. Fahd, Leiden: Brill, 1989, 461; Fernandez, G. "The Evangelizing Mission of Theophilus 'the Indian' and the Ecclesiastical Policy of Constantius II," *Klio* 71 (1989): 361-366, esp.361; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 98.

(19) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 97.

(٢٠) يرى بعض الباحثين تشابهاً بين اسمي جزيرة ديفوس وضبا Ḍibā على ساحل البحر الأحمر شمال غربي المملكة العربية السعودية. إلا

أنه من الصعب تصور أن ثيوفيلوس أبحر من جنوب الجزيرة العربية إلى الشمال ثم عاد مرة أخرى ليعبر إلى الحبشة. انظر المناقشة الموسعة: Fiaccadori, "Teofilo Indiano", 300f

(21) Lankina, *Reclaiming the Non-Nicene Past*, 10 n.8

(22) *[inde nationibus Indicis certatim cum donis optimates mittentibus ante tempus ab usque Divis et Serendivis*.]. Ammianus Marcellinus, *Res Gestae*, trans. J.C. Rolfe, vol. II, [Loeb Classical Library], London, 2000, 212-213.

(23) Gregory of Nyssa, *Contra Eunomium I*, ed. M. Brugarolas, Brill: Leiden, Boston, 2018, 81.[=*PG* 82, col. 1072].

(24) Christides, V. "Ethnic Movements in Southern Egypt and Northern Sudan: Blemmyes-Beja in Late Antique and Early Arab Egypt until 707 A.D", *Listy Filologiké* 103, no.3(1980): 129-143; Barnard, H., "Additional Remarks on Blemmyes, Beja and Eastern Desert Ware*", Egypt and the Levant: International Journal for Egyptian Archaeology and Related Disciplines* 17(2007): 23-31.

(٢٥) حول سيطرة البليميين على أجزاء من ساحل الصحراء الشرقية على البحر الأحمر منذ القرن الثالث الميلادي، انظر: Thomas, R.I. "Port Communities and the Erythraean Sea Trade", *British Museum Studies in Ancient Egypt and Sudan* 18(2012): 169-199, esp. 171. يقترح فرانك م. سنودن Frank M. Snowden أن غريغوريوس النيصي يشير هنا إلى أصل ثيوفيلوس الحبشي.

suggests that Gregory of Nyssa is referring here to Theophilus' Abyssinian origin. Snowden, F.M. *Blacks in Antiquity: Ethiopians in Greco-Roman Experience*, Harvard University Press, 1970, 208. في حين يرى جيانفرانكو فياكادوري Gianfranco Fiaccadori أن تسمية ثيوفيلوس بـ "Βλέμμυς" كانت لأنه كان آريوسيًا يتبع يونوميوس، ولأن غريغوريوس خصص كتابه خصيصًا لمهاجمة هذه الطائفة، كان من الطبيعي أن يسعى إلى إهانة ثيوفيلوس وربطه بالبليميين الوثنيين الذين اشتهروا في ذلك الوقت باللصوصية. أي أن هدف غريغوريوس هو الوصف في حد ذاته، وليس الانتماء. Fiaccadori, G. "Teofilo Indiano: Parte II. Il Viaggio", *Studi Classici e Orientali* 34(1985): 271-307, esp. 289-290.

(26) Philostorgius, *Church History*, 42.

(27) Phiostorgius, *Kirchengeschichte*, p.35; Eng. trans. Philostorgius, *Church History*, p.43. [Ἐκ δὲ ταύτης τῆς μεγάλης Ἀραβίας εἰς τοὺς Αὐξουμίτας καλουμένους ἀπαίρει Αἰθίοπας, οἳ κατὰ τὰς πρώτας ὄχθας κατφκηνται τῆς ῾ρυθρᾶς θαλάσσης.].

(28) John Malalas, The Chronicle, trans. E. Jeffreys and R. Scott, Byzantina Australiensia 4, Brill: Leiden, Boston, 2017, 251.

وفيما يتعلق بالسفراء يشير مالالاس [ص ٢٦٨] إلى إحدى السفارات، فيقول: ""أبحر السفير الروماني إلى الإسكندرية ووصل إلى الأراضي الهندية عن طريق النيل والبحر الهندي"

(29) *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, New York, 1969, p.380. [*… nullus ad gentem axumitarum et homeritarum ire praeceptus ultra annui temporis spatia debet alexandriae de ceter demorari nec post annum percipere alimonias annonarias.*].

[لا يجوز لأي شخص مأمور بالذهاب إلى قبيلة الأكسوميين أو الحميريين أن يبقى في الإسكندرية بعد عام من الفترة الزمنية المحددة].

(30) Philostorgius, *Church History*, 40.

(٣١) Philostorgius, *Church History*, 40-41. يعلق عرفان شهيد على هذه الهدايا قائلاً: "كانت مائتا حصان كبادوكي هدية مبتكرة ومناسبة لشعب يقدّر الخيل". ويشير الباحثون إلى وجود صلة قوية بين هذه الهدايا وحصان برونزي يحمل نقوشًا سبئية محفوظة في مجموعة مؤسسة دمبارتون أوكس في واشنطن Dumbarton Oaks Foundation in Washington. انظر: Jamme, A. "Inscriptions of the Sabaean Bronze Horse of the Dumbarton Oaks Collection", *Dumbarton Oaks Papers* 8(1954) 315-330; Ryckmans, J. "The Pre-Islamic South Arabian Bronze Horse in the Dumbarton Oaks Collection", *Dumbarton Oaks Papers* 29(1975), 275-303; Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 88.

(٣٢) عن واجب الإمبراطور كمبشر، انظر بشكل عام: Christou, P., "The Missionary Task of the Byzantine Emperor", *Byzantina* 3(1971): 279-286

(33) Philostorgius, *Church History*, 40.

(34) Philostorgius, *Church History*, 41.

(٣٥) استُخدِم نفس النمط في الروايات المتعلقة بالتنصير بين عرب شمال الجزيرة العربية. فقد نُسب اعتناق العديد من العرب هناك للمسيحية خلال القرن الخامس الميلادي إلى المعجزات العلاجية التي قام بها القديسان يوثيميوس Euthymius وشمعون العمودي Simeon the Stylite. انظر: Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 89 n.55. وعن دور المعجزات في تحويل الملكة العربية ماوية Mavia/ Mauia إلى المسيحية، انظر: Sozomen, *History of the Church*, 307-310. حول استخدام المعجزات كآلية للتنصير في أواخر العصر الروماني، خاصة بين الحكام الأجانب، انظر: Angelov, *Conversion and Empire*, 10, 64, 100,125, 131, 133.

(36) Shahid, *Byzantium and the Arabs*, 89.

(37) Philostorgius, *Church History*, 41.

(38) Philostorgius, *Church History*, 41 n.10.

(39) Robin, Ch.J. "Najrān vers l'époque du massacre: notes sur l'histoire politique, économique et institutionnelle et sur l'introduction du Christianisme", in *Le massacre de Najrān II: juifs et chrétiens en Arabie aux Ve et Vie siècles regards croisés sur les sources*, ed. J. Beaucamp et al., Paris, 2010, 64-106, esp.64; Idem,"Le judaïsme de Ḥimyar", *Arabia* 1(2003): 97-172, esp.103-104.

(40) Dihle, "L'ambassade de Théophile", 467; Chatonnet, F.B. "L'expansion du christianisme en Arabie: l'apport des sources syriaques", *Semitica et Classica* 3(2010): 177-187, esp.183.

(41) Chatonnet, "L'expansion du christianisme", 183.

(42) *The Chronicle of Zuqninn, Parts I and II. From Creation to the Year 506/7 AD*, ed. & trans. A. Harrak, Gorgias Press, 2017, 252.

تقدم لنا الحولية المنحولة لديونيسيوس التلمحري نفس الإشارة الموجزة: Nau, F. "Analyses des parties ine´dites de la chronique attribue´e de Denys de Tellmahre´," *Revue de l'Orient chre´tien* 2 (1897): 49.

(43) *The Chronicle of John, Bishop of Nikiu Translated From Zotenberg's Ethiopic Text*, trans. R.H. Charles, Oxford, 1916, 69-70.

(٤٤) تدور أحداث إحدى القصتين الأخريين حول امرأة رومانية مسيحية تُدعى ريبسيم Rhipsime، هربت من روما إلى أرمينيا في عهد الإمبراطور دقلديانوس، حيث أسرها الملك الأرمني الوثني تردات Trdat، فنصرته بأحدى معجزاتها. أما القصة الثانية فتتعلق بأسيرة جورجية أذهلت «البرابرة» بزهدها ومعجزاتها، التي كان من بينها شفاء الملكة. وأخيرًا، نجحت بإحدى معجزاتها في تحويل الملك والأمة بأكملها. وبناءً على نصيحتها، تم إرسال سفارة إلى الإمبراطور قسطنطين Constantine تطلب كهنة لتعليم الجورجيين عقيدتهم الجديدة. Sterk, "Mission from Below", 1-39.

(45) Sterk, "Mission from Below, 39.

(46) Sterk, "Mission from Below", 29-30.

(47) Sterk, "Mission from Below", 26-27.

(48) *Chronicle of John of Nikiu*, 69-70.

(٤٩) نص هذه الرسالة محفوظ في Athanasius's *Apologia ad Imperatorem Constantium* [PG 25, cols. 593f]. ويبدو أن فشل مهمة ثيوفيلوس في أكسوم دفع فيلوستورجيوس -خلافاً لتناوله حالة جنوب شبه الجزيرة العربية- إلى تجاهل توضيح طبيعة مهمته هناك، واكتفى بإشارة مختصرة جداً قائلاً: "لقد وصل إلى أكسوم، وتولى الأمور هناك، ثم عاد إلى الإمبراطورية الرومانية." Philostorgius, *Church History*, 43

(٥٠) وفقًا لبقية القصة، استخدم فرومنتيوس تأثيره لنشر المسيحية. وشجع التجار المسيحيين الأجانب على ممارسة طقوسهم علناً، ونجح في تنصير عدد من السكان المحليين. ثم سافر إلى الإسكندرية وطلب من أسقفها أثناسيوس أن يرسل أسقفًا وبعض الكهنة كمبشرين إلى أكسيوم، لكن أثناسيوس رأى أن فرومنتيوس نفسه هو الأصلح لهذه المهمة، فرسمه أسقفًا. عاد فرومنتيوس إلى أكسوم، ونجح في تحويل الملك عيزانا وبقية شعبه إلى المسيحية. Sozomen, *History of the Church*, 85-88; Rufinus of Aquileia, *History of the Church*, trans. Ph. R. Amidon, The Catholic University of America Press, Washington, D.C., 2016,.394-396; Socrates Scholasticus, *History of the Church*, London, 1853, 51-52. وعن تأثير هذه الرواية على نظيراتها الإثيوبية فيما يتعلق بظروف تحول عيزانا إلى المسيحية، انظر: Vila, M. "Frumentius in the Ethiopic Sources: Mythopoeia and Text-Critical Considerations", *Rassegna di Studi Etiopici -3(rd) Serie* 1 (2017): 87-111.

(51) *Coptic Synaxariun*, Lives of Saints, Oxford: Oxford Publishing House, 2006, 35-36.

(52) *The History of the Great Deeds of Bishop Paul of Qenṭos and Priest John of Edessa,* trans. H. Arneson et al., Gorgias Press, 2010.p.50-56.

(٥٣) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص١٢٠-١٢١. *The History of the Great Deeds, p.9*

(٥٤) عن تنصير مافيا/ماويا انظر: Angelov, *Conversion and Empire*, 275-278; Mayerson, P. 'Mauia, Queen of the Saracens – A Cautionary Note', *Israel Exploration Journal*30 (1980): 123-131; Monferrer-Sala, J.P. "New skin for Old Stories: Queen Zenobia and Māwiya, and Christian Arab groups in the Eastern Frontiers during the 3(rd) -4(th) Centuries CE", In *Mapping Knowledge: Cross-Pollination in Late Antiquity and the middle Ages*, ed. Ch. Burnett and P. Mantas-Espaňa, Córdoba: CNERU-The Warburg Institute, 2014, 72-98.

(55) *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*, trans. C. Mango and R. Scott, Oxford: Clarendon Press, 1997, 99.

(56) *Chronique de Michel le Syrien*, ed. & trad. J.-B. Chabot, Paris, 1899, I, p. 294.

(57) Horovitz, J. "Wahb b. Munabbih", *Encyclopaedia of Islam*, 1st edition, VIII, 1084a–1085b; Khoury, R.G. "Wahb b. Munabbih", *Encyclopaedia of Islam*, 2nd edition, XI, 34a–36a.

(٥٨) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق محمد السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٣٢-٣٤.

(٥٩) وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، صنعاء، ١٩٢٨م، ص٢١.

(٦٠) المصدر نفسه، ص٣١.

(61) *Histoire nestorienne: (chronique de Séert*), ed. A. Scher, *Patrologia Orientalis* 5 (1910): 219-340, esp.330-331.

(62) Moberg, A., (ed.) *The Book of the Himyarites: Fragments of a Hitherto Unknown Syriac Work*, Acta Regiae Societatis Humaniorum Litterarum Lundensis 7. Lund, 1924, 123.

(63) Bausi, A. "Il Gadla Azqir", *Adamantius Rivista del Gruppo Italiano di Ricerca su "Origene e la tradizione alessandrina"*, 23 (2017): 341-380, esp.379.